دراسات

مالكوم إكس: التداخل بين خدمته للإسلام ونضاله ضد العنصرية في الولايات المتحدة الأمريكية

الأستاذ الدكتور
أسامة أبو نحل

Received :23 / 9 / 2024
Revised: 2 / 10 / 2024
Accepted: 10 / 10 / 2024
Published: 1 / 11 / 2024

أ.د. أسامة أبو نحل
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة الأزهر – غزة (فلسطين)
osamabunahel@homail.com

مالكوم إكس: التداخل بين خدمته للإسلام ونضاله ضد العنصرية في الولايات المتحدة الأمريكية

Malcolm X: The intersection of his dedication to Islam and his fight against racism in the United States of America

الملخص

تناولت الدراسة دور الداعية الأمريكي من أصول أفريقية (مالكوم إكس) في خدمة الإسلام خلال فترة انتمائه لجماعة أمة الإسلام، وجهوده لإقناع الأمريكيين السود باعتناق الإسلام والانضمام إليها، بالإضافة إلى محاولته تصحيح مسار الحركة الإسلامية في الولايات المتحدة بعد انفصاله عن أمة الإسلام. كما تطرقت الدراسة إلى التداخل الواضح بين خدمته للإسلام ونضاله ضد سياسة التمييز العنصري السائدة في الولايات المتحدة .

واعتمدت الدراسة على منهجين رئيسيين: المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت إلى عدة نتائج، أهمها أن (مالكوم) أحدث تأثيرًا كبيرًا في حياة الأمريكيين السود، وأن عملية اغتياله وأفكاره وخطاباته ساهمت في تطوير الأيديولوجية القومية السوداء، وأثارت حالة فريدة من الاعتزاز العرقي لدى الأمريكيين السود.

الكلمات المفتاحيّة: مالكوم إكس، الأمريكيون الأفارقة، التداخل، خدمة الإسلام، العنصرية.

Abstract

The study examines the contributions of Afro-American speaker Malcolm X to Islam during his association with the Nation of Islam. It also discussed his endeavors to get African Americans to adopt Islam by attempting to influence the trajectory of the Islamic movement in the United States following his departure from the Nation of Islam. The study examined the evident intersection between his commitment to Islam and his opposition to the widespread policy of racial discrimination in the United States.

The research included two primary methodologies: historical and descriptive-analytical. It arrived at several important results, the most notable of which is that Malcolm significantly influenced the lives of African Americans. His assassination, concepts, and oratory significantly influenced black nationalist ideology and sparked an uncommon sense of racial pride among African Americans.

Keywords: Malcolm X, African Americans, intersection, the promotion of Islam, racial discrimination.

المقدمة

- **تمهيد**

استشرت في الولايات المتحدة سياسة التمييز العنصري ضد الأمريكيين من أصل أفريقي، ومع الوقت أصر هؤلاء على تحقيق مطلبهم الرئيس، بإلغاء هذه السياسة اللاإنسانية ما أدى إلى ظهور رموزٌ وطنية منهم عمدت إلى مكافحتها، منها شخصية (مالكوم إكس) الذي كان له دورٌ بارز في نشر الإسلام بين الأمريكيين السود، وفي خدمة جماعة أمة الإسلام الذي انتمى إليها وأصبح عضوًا بارزًا فيها، ثمَّ محاولته تصحيح مسار الحركة الإسلامية في الولايات المتحدة.

- **أهميّة الدراسة**

في الولايات المتحدة، استشرت سياسة التمييز العنصري ضد الأمريكيين من أصل أفريقي، ومع مرور الوقت أصر هؤلاء على تحقيق مطلبهم الرئيسي، وهو إلغاء هذه السياسة اللاإنسانية، مما أدى إلى بروز رموز وطنية منهم، مثل (مالكوم إكس) الذي لعب دورًا بارزًا في نشر الإسلام بين الأمريكيين السود، وخدمة جماعة أمة الإسلام التي انتمى إليها وأصبح عضوًا بارزًا فيها، بالإضافة إلى محاولته تصحيح مسار الحركة الإسلامية في الولايات المتحدة .

- **مشكلة الدراسة**

كُتب الكثير عن دور الحركات المدنية وبعض رموزها الوطنية من الأمريكيين الأفارقة في مكافحة التمييز العنصري، إلَّا أن شخصية (مالكوم إكس) لم تحظَ بالاهتمام الكافي من قبل الباحثين العرب، وتتمثل مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي التالي: **ما أوجه التداخل بين خدمة (مالكوم إكس) للإسلام، ونضاله ضد العنصرية في الولايات المتحدة الأمريكية؟**

- **أهداف الدراسة**

هدفت الدراسة إلى توضيح النقاط التالية:

١. إبراز جهود (مالكوم) في خدمة جماعة أمة الإسلام ومناهضته لسياسة التمييز العنصري.

٢. استعراض دور (مالكوم) في تصحيح أوضاع الحركة الإسلامية ومقاومته لسياسة التمييز العنصري.

- **منهجيّة الدراسة**

اعتمدت الدراسة على منهجين رئيسين؛ هما: **المنهج التاريخي** الذي يسهم في جمع المعلومات الأولية، خصوصًا الأحداث التاريخية التي سبقت ظهور (مالكوم) وما تلاها، **والمنهج الوصفي التحليلي**، الذي يهدف إلى تفسير المعلومات المتعلقة بحياته وتحليلها، مع بيان أهميتها وقيمتها العلمية.

المبحث الأول

إسلام (مالكوم) وجهوده في خدمة جماعة أمة الإسلام ومناهضته لسياسة التمييز العنصري

المطلب الأول: تشكيل شخصيته الفِكرية وإسلامه

وُلِدَ (مالكوم) لوالد يدعى (إيرل ليتل) في ١٩ آيار (مايو) ١٩٢٥ في مدينة أوماها بولاية نبراسكا، وكان والده قِسًّا معمدانيًا مؤيدًا لحركة (ماركوس غارفي) [١] متأثرًا بأفكاره، ومناديًا بصفاء الجنس الأسود، وضرورة عودته إلى أفريقيا مما أدى إلى تعرضه لمشكلات عديدة. وتوفي والده دهسًا في عام ١٩٣١ على يد مجموعة من العنصريين البيض؛ مما جعله ينشأ في بيئة قاتمة مشحونة بالكراهية والبغض تجاه البيض [٢]، حيث عانى من مرارة العنصرية منذ طفولته المبكرة.

بعد مقتل والده، عاش (مالكوم) وأمه وإخوته حياة قاسية، مما استدعى تدخل مكتب المساعدة الاجتماعية، مما أثر سلبًا على نفسية الأم التي قضت جزءًا من حياتها في مستشفى للأمراض العقلية. وبذلك، أصبح مالكوم وإخوته وفقًا للقانون العنصري أطفال الدولة، وتم توزيعهم على أسر بيضاء، مما أثار غضبه ودفعه إلى السرقة. تفاقمت أوضاعه مع تزايد تسكعه وتطفله وسرقاته، خاصة بعد أن تم القبض عليه متلبسًا عدة مرات. وأصبح أقل صبرًا وأكثر عدوانية تجاه التلاميذ البيض الذين كانوا يتعمدون ازدراءه. ومع ذلك، كان شغوفًا بدراسته في مادتي التاريخ واللغة الإنجليزية، مما وسع مداركه الفكرية لاحقًا [٣].

وبناءً عليه؛ فإن الظروف القاسية التي عاشتها أسرة (مالكوم) أسهمت بشكل كبير في جعل فترة طفولته صعبة، حيث حُرم من وسائل الترف والعيش الكريم التي تمتع بها أقرانه من الأطفال البيض، مما أدى إلى كراهيته لهم ولجوئه إلى السرقة وتدهور معنوياته الدراسية.

مرت حياة (مالكوم) بثلاث مراحل، أثرت كل منها في تطور شخصيته الفكرية والقيادية، ويمكن أن نطلق على المرحلة الأولى منها اسم التسكع أو الصعلكة، حتى اعتناقه الإسلام. والمرحلة الثانية تتعلق بانجذابه إلى أفكار (إليجا محمد) زعيم جماعة أمة الإسلام، وتعلقه به، حيث أصبح بمثابة الأب الروحي له، ثم انضم إلى الجماعة وارتفعت مكانته حتى أصبح الشخص الثاني فيها. والمرحلة الثالثة التي تطور فيها وعيه الإيماني بعد اكتشافه الزيف العقائدي الذي أصاب الجماعة، ثم انفصاله عنها وأدائه فريضة الحج واعتناقه الإسلام الصحيح من جديد، وصولًا إلى عودته إلى بلاده ومحاولته تصحيح مسار الحركة الإسلامية فيها، وما بذله من جهد في مواجهة سياسة التمييز العنصري خلال هاتين المرحلتين.

يمكن وصف إحدى الفلسفات التي طورها (مالكوم) بأنها فلسفة المنافسين، المستمدة من فترة شبابه التي واجه فيها تحديات وصعوبات متنوعة، وتنقله بين المدن. وفقًا لهذه

الفلسفة؛ فإن الإنسان والبشرية بأسرها تخضع لقوانين الغابة التي تفرض على كل فرد النضال من أجل البقاء، ويتعين على كل شخص حماية نفسه وإعالتها [٤]. تم طرده من المدرسة في سن (الخامسة عشرة)، وبعد خروجه من سجن الأحداث في عام ١٩٤٠، انتقل إلى مدينة بوسطن، وعمل ماسحًا للأحذية ثم نادلًا في أحد المطاعم، وانغمس في حياة اللهو والمجون. وبعد عامين انتقل إلى مدينة نيويورك، تحديدًا إلى حي هارلم الذي يقطنه السود للعمل في السكك الحديدية، حيث ارتبط بعالم الجريمة بكافة أنواعه[٥].

أُدين بالسرقة في عام ١٩٤٦ حُكم عليه لمدة (عشر) سنوات، قضى منها (سبع) سنوات فقط. ويبدو أن وجوده في السجن غيّر مجرى حياته بشكل جذري؛ حيث كتب إليه إخوته أنهم اعتنقوا الإسلام كدين فطري للرجل الأسود، وأعلموه بانضمامهم إلى جماعة أمة الإسلام التي يقودها (إليجا محمد)، والتي انتشرت تعاليمها في الولايات المتحدة، ووصلت إلى السود الذين لم يعتنقوا الإسلام بشكل يعكس واقعهم. لم يكن هناك أسود واحد أو حتى رجل أبيض واحد قد قرأ عن دور السود في تاريخ الولايات المتحدة، وسرعان ما اعتنق (مالكوم) الإسلام في السجن، مما شكل تحولًا نوعيًا في أخلاقه، وبدأ في صقل أفكاره، مشيرًا إلى أنه كان في قاع المجتمع الأمريكي عندما اهتدى إلى الله وإلى الإسلام، مما غيّر مجريات حياته. وبفضل شغفه بالقراءة، عمّق ذلك من تفكيره، حيث غيّرت القراءة مجرى حياته بشكل جذري، وتوصل إلى قناعة بأن القراءة كشفت له أن الجنس الأسود في الولايات المتحدة أصم وأبكم وأعمى[٦].

كان (مالكوم) مستاء من التشويه والتحريف والقهر والاستغلال الذي تعرض له أبناء جلدته في الولايات المتحدة، مشيرًا إلى أن صانع العبيد أدرك على مدى (ثلاثمائة) عام أنه لا يمكنه تحويل الأفارقة إلى عبيد إلَّا بعد أن يجعلهم أغبياء، وذلك من خلال سلبهم لغتهم، مما يمنعهم من التواصل مع أقاربهم ويعيق وصولهم إلى معلومات عن عائلاتهم[٧].

وبناءً عليه؛ فإن الفترة التي قضاها (مالكوم) في السجن رغم صعوبتها، كانت مثمرة في تشكيل شخصيّته وتطوير فِكره في مرحلة شبابه، فقد دفعه كراهيته للبيض إلى قراءة

تاريخ السود بشغف، مما أدّى إلى اعتناقه الإسلام بفضل المعلومات عن الإسلام التي قدمها له إخوته حول الإسلام وقيمه التي تدعو للمساواة بين البشر. ويبدو أن سرعة اعتناقه للإسلام تعود إلى البيئة التي نشأ فيها، والفجوات القائمة بين مجتمع السود والمسيحية.

المطلب الثاني: انضمامه إلى جماعة أمة الإسلام

ويبدو أن برنامَج (إليجا محمد) كان علاجًا لمشكلات المعازل التي عاش فيها الزنوج، وأن الانتماء للإسلام كان كافيًا لتحقيق هذه الغاية. وفي حالة (مالكوم)؛ فإن اعتناقه الإسلام ساهم في إعادة توحيد بنية شخصيته على أساس الهوية الذاتية العنصرية. بفضل الانتماء إلى أمة الإسلام، أصبح الفرد جزءًا من مجتمع السود الفخورين الذين تباينت ثقتهم وولائهم لبعضهم البعض بشكل ملحوظ. من خلال تعاليم (إليجا محمد)، استطاع تطوير أساس للوعي الذاتي العنصري للسود، بالإضافة إلى الهوية السوداء. وقد شمل هذا التصور الذاتي مفاهيم سياسية حيوية، مفادها أن جميع السود يستحقون المساواة والعدالة والحرية، وأن الرجل الأبيض يمثل العدو الذي حال دون تحقيق هذه القيم [٨].

كانت أمة الإسلام في المقام الأول جماعة احتجاجية اجتماعية، مع وجود دلالات سياسية واضحة، خاصة في معارضتها لحركة الحقوق المدنية. ومع ذلك، عرف أعضاؤها أنفسهم كمسلمين، لكن الجماعة لم تكن سياسية، إذ انتظرت بخطابها المتشدد أن يُحدث الله التغيير الاجتماعي، وتنبأ (إليجا محمد) بأن الله سيدمر الولايات المتحدة [٩]. وكانت أفكاره تعتمد في معظمها على الانفصال عن المجتمع الأمريكي بدلًا من الاندماج، وهو ما يتعارض مع الأساليب والأهداف التي سعى القادة السود الآخرون لتحقيقها من خلال حركة الحقوق المدنية [١٠].

بعد مغادرته السجن في آب (أغسطس) ١٩٥٢، توجه (مالكوم) إلى مسجد ديترويت وتأثّر بأخلاق المسلمين التي لم يلاحظ لها نظيرًا بين السود؛ إذ رأى لأول مرة أفرادًا من السود يعتزون بلونهم ويحتضنون الحب في قلوبهم بدلًا من الحسد والريبة. ثم التقى (إليجا محمد)

في مسجد شيكاغو، مما زاد من إعجابه به وبأسلوبه الإقناعي. في المقابل، رأى (إليجا محمد) فيه الثورية والعداء الشديد للبيض والقدرة الإقناعية العالية، فضمه إلى مجلس إدارة أمة الإسلام. بعد هذا اللقاء، غيّر مالكوم اسمه رسميًا من (ليتل) إلى (X)، لإزالة رمزية أصله المجهول في أفريقيا، وكان شغفه الحقيقي هو النهوض بالجماعة [١١].

سرعان ما أصبح (مالكوم) مقربًا منه، وبعد تشجيعه بدأ يخطب بجمهور المسجد رقم (١)، وفي حزيران (يونيو) ١٩٥٣ عُين مساعدًا لوزير (إمام) المسجد، واعتبره (إليجا محمد) بمثابة الابن (السابع) له، مما منحه اهتمامًا أكبر من بقية أبنائه [١٢]. وسعى (إليجا محمد) إلى توسيع نطاق وجود الجماعة بشكلٍ كبير في البيئة الحضرية، فسأله (مالكوم) عن أنجع السُبل لاستقطاب أكبر عدد من الناس، فأجابه: يجب التركيز على فئة الشباب الذين سيتبعهم الكهول حياءً. فذهب إلى الأحياء الفقيرة في فيلادلفيا، وبوسطن وسبرينغفيلد في ولاية ماساتشوستس، وهارتفورد في ولاية كونيكتيكت، فتم تكريمه بتعيينه وزيرًا لمسجد هارلم رقم (٧) في حزيران (يونيو) ١٩٥٤[١٣].

قدمت جماعة أمة الإسلام، بالتزامن مع أفكار القومية السوداء، المساحة الجماعية التي كان السود الفقراء في أمس الحاجة إليها، بعد أن ثبت أن تجربتهم في الحرية الدينية التي وعدت بها المسيحية كانت غير مجدية. لم تؤكد الجماعة فقط هوية السود؛ بل عززت أيضًا صحة الهوية الثقافية للعرق الأسود، وقدمت مبررًا دينيًا لفكرة التباعد بين الأجناس، معتبرة أن الفصل الثقافي والجغرافي هو الحل الوحيد الممكن لمشكلة العرق. وفي الصورة التي رسمها (مالكوم) لنفسه، أصبح البياض يمثل لون الشيطان؛ ففي المرحلة الأولى من اعتناقه للإسلام، كان أقل اهتمامًا بالجانب الروحي للدين، وأكثر تركيزًا على الواقع الموضوعي للوجود الأمريكي الأفريقي؛ إذ لم يكن رفضه للمسيحية مبنيًا على أي منطق عقائدي فكري؛ بل كان نتيجة حماسة الرفض التي استنكرت المعاملة القاسية التي تعرض لها السود في المجتمع المسيحي [١٤].

المطلب الثالث: تعزيز دوره في أمة الإسلام ومواجهته لسياسة التمييز العنصري

تخلى (مالكوم) عن ماضيه غير النشيط وكرس نفسه لنظامٍ استثنائي من الانضباط والتعليم الذاتي، مطورًا خطابًا دعويًا جذابًا باستخدام ذكائه الحاد للترفيه عن جمهوره وتوجيههم وجذبهم. ومن خلال خطبه البليغة، وسع عضوية جماعة أمة الإسلام من (أربعمائة) إلى ما بين (خمسين ألفًا) و(خمسٍ وسبعين ألفًا)، وزاد عدد المساجد في الولايات المتحدة من (أربعة) إلى أكثر من (مائة)، وفي بعض النواحي كان صوته امتدادًا لدعوة زعيمه. وأذهل (مالكوم) الجماهير خاصة الشباب السود في المناطق الحضرية الذين توافدوا لسماع خطبه حول كبرياء السود وشرور البيض، فكانت رسالته فريدة وثورية [١٥]. ويبدو أن ولاءه الأعمى لزعيمه مع حداثة عهده بالإسلام جعله يعتبره رسولًا حقيقيًا، حيث كان يختتم خطبته بالقول: "أشهد أن لا إله إلَّا أنت وأن (إليجا محمد) المحترم عبدك ورسولك"، إذ كان مقتنعًا بأنه مبعوث من الله [١٦].

فرض (إليجا محمد) قاعدة صارمة ضد النشاط السياسي والاحتجاج داخل جماعته، بِما في ذلك حظر المشاركة الاجتماعية التي قد تُحسِّن ظروف السود؛ إذ كانت تعاليمه قائمة على أن الله سيحرر السود قريبًا دون جهد من جانبهم، وأن على أتباعه انتظار هذا الحدث الإلهي الحتمي [١٧]، مما يعني أن تعاليمه كانت متجذرة في الاتكالية، وأن على أتباعه السمع والطاعة له.

كان شهر نيسان (أبريل) ١٩٥٧ بداية بروز (مالكوم) خارج نطاق القومية السوداء، عندما احتج الأسود (هنتون جونسون) على اعتداء اثنين من رجال الشرطة البيض على رجل أسود آخر، فكان رد الشرطة ضربه بشدة وسجنه، وسرعان ما انتشرت أخبار سوء معاملته، وخلال ساعة قاد (مالكوم) نحو (ألفين وستمائة) من الرجال والنساء السود لمحاصرة مركز الشرطة. ونتيجة لذلك، عرض عليه رئيس تحرير صحيفة أخبار أمستردام كتابة عمود رأي [١٨]، مما مهد له الطريق نحو الشهرة والنجومية.

أدّى هذا الحادث إلى تحفيز القوى التي بلغت ذروتها لاحقًا في انقطاعها الحتمي مع أمة الإسلام، إذ لم يتمكن (إليجا محمد) من الحفاظ على سلطته الشخصية إلَّا من خلال إجبار أتباعه على الابتعاد عن العالم الخارجي، في وقتٍ أدرك فيه (مالكوم) أن النمو المستقبلي للجماعة يعتمد على انغماسها في صراعات المجتمع الأسود في الحياة اليومية. وأدت مهمته في نشر الإسلام إلى توسيع عضوية الجماعة ما منحها تأثيرًا أكبر، لكنها أجبرته أيضًا على معالجة مشكلات الأمريكيين السود غير المسلمين بطرقٍ جديدة، وفي نهاية المطاف كان يتعين عليه أن يختار ما إذا كان سيظل مخلصًا لزعيمه أو أن يكون إلى جانب شعبه [١٩].

أما الحدث الثاني الذي ساهم في تعزيز شهرته فكان في آب (أغسطس) من العام نفسه، عندما أقدم على خطوات جريئة لجذب جيل أكبر من سكان هارلم إلى أمة الإسلام، وذلك من خلال تنظيم مهرجان إحياء لذكرى (ماركوس غارفي) من قبل لجنة من النشطاء السود، مثل الحركة القومية الأفريقية والحركة القومية الأفريقية المتحدة. ومع وجود مجموعة بارزة من المتحدثين، تمكن (مالكوم) من أسر قلوب الحضور، حتى أن صحيفة هارلم أفادت بأنه نجح في تحفيز الجمهور بقوة، بفضل انتقاده العرق الأبيض المسؤول عن معاناة السود، كما اعتبر الزعماء السياسيين ورجال الدين السود مجرد دمى في يد الرجل الأبيض. وبفضل أدائه الشجاع أمام مركز الشرطة، نال الاحترام ونجح في استقطاب المئات من قدامى أنصار الغرفوية إلى قضيته [٢٠]. وظهر التزامه الأساسي بحرية الأمريكيين السود وقيمتهم الذاتية في وقتٍ مبكر من حياته الناشطة في أمة الإسلام [٢١]. ومن الأمور التي تُحسب له أيضًا نجاحه في إقناع الملاكم العالمي (كاسيوس كلاي) باعتناق الإسلام وتغيير اسمه إلى (محمد علي كلاي) [٢٢]، حيث كانت تربطهما عِلاقة تشبه تلك التي تجمع الأستاذ بتلميذه [٢٣].

أصبح (مالكوم) شخصية إعلامية عامة لأول مرة في عام ١٩٥٩، عندما ظهر في فيلم وثائقي تلفزيوني بُث في نيويورك بعنوان "الكراهية التي أنتجت الكراهية"، حيث أوضح

أن وفقًا لتعاليم أمة الإسلام، يُعتبر السود عرقًا إلهيًا، واستنكر العرق الأبيض باعتباره شيطانًا شريرًا وغير قادر على الخير. كانت هذه الرسالة متناقضة بشدة مع موضوع الأخوة الذي طرحته حركة الحقوق المدنية، مما جعل أمة الإسلام و(مالكوم) على وجه الخصوص محط اهتمام وسائل الإعلام الوطنية. ورغم أنه اشتكى لاحقًا من الدعاية السلبية، إلَّا أن صورته الإعلامية ساهمت في إبراز الوطنية الإسلامية، حيث بذل قصارى جهده لتعزيز تلك الصورة في المقابلات الإعلامية [٢٤].

أصبح (مالكوم) الممثل الوطني والمتحدث الرئيس باسم أمة الإسلام، وكان مطلوبًا كمتحدث عام في الجامعات وأماكن أخرى، كما كان مطلوبًا للظهور على شاشات التلفاز، وتمت مقابلته كمتحدث باسم الأمريكيين السود من قِبل صحفيين من دول أخرى. وأسس أول صحيفة وطنية للجماعة تحت عنوان (محمد يتكّلم). ومن خلال هذه المنصات انتقد بشدة قادة حركة الحقوق المدنية، وسخر من نهجهم السلمي ومنهم (مارتن لوثر كنج)، لدعوتهم إلى دمج السود في المجتمع الأبيض بدلًا من بناء مؤسساتٍ سوداء منفصلة، ورفض موقفهم الذي يدعو السود إلى ممارسة اللاعنف عند مواجهة الاعتداءات من المجتمع الأبيض. وحث (مالكوم) مستمعيه على نبذ مشاعر الدونية ومكافحة العنصرية الداخلية التي تُعتبر إرث الاستعمار الأبيض، حيث قال: "آن أواننا للدفاع عن أنفسنا"، ونجح في جذب الانتباه والرؤية من وسائل الإعلام الرئيسية إلى أمة الإسلام [٢٥].

يبدو أن (إليجا محمد) و(مالكوم) اتفقا على أن إحدى الوسائل للتخلص من تهديد البيض، تتمثل في إعادة جميع الأمريكيين السود إلى موطنهم الأصلي (أفريقيا). على الرغم من دعم (مالكوم) لهذا الموقف، إلَّا أنه لم يجعله أولوية في استراتيجيته، حيث كان مؤيدًا للثورة السوداء التي تهدف إلى تمكين المسلم الأسود وفقًا لفلسفته من الوصول إلى مراتب القيادة وتولي مناصب مهمة في الدولة. كما دعا إلى الضغط على الحكومة لإنهاء سياسة التمييز العنصري وتحسين أوضاع الأمريكيين السود، مؤكدًا على ضرورة احترام حقوقهم المدنية كما يتم احترام حقوق البيض. ودعا إلى الانفصالية السوداء، مستخدمًا

عقيدته الإسلامية لغرس القيم القابلة للتحقيق من خلال هذه الانفصالية، وأصر على أن الطريق الإلهي في هذا السياق يتمثل في هذه الانفصالية، مستندًا إلى حجج تاريخية ودينية لتوضيح الحاجة إلى تبنيها [٢٦].

أرسل (إليجا محمد) (مالكوم) إلى مصر بناءً على دعوة من الحكومة المصرية، ووصل إلى القاهرة في ٤ تموز (يوليو) ١٩٥٩، مما شكل بداية تجربة تحويلية. التقى نائب رئيس الوزراء (أنور السادات) عدة مرات، واستقبله علماء الدين في جامعة الأزهر. وخلال إقامته في السعودية، أدرك أنه لا يوجد تمييز لوني بين المسلمين، إذ علمهم الإسلام أن جميع البشر متساوون وأخوة. وخلال رحلته لاحظ الاستياء في أفريقيا وآسيا من الجمود الإداري في الولايات المتحدة، مما أكد الحاجة إلى توسيع المنظور الدولي داخل حركة حرية السود. من خلال إقامة تحالفات مع دول العالم الثالث، يمكن للأمريكيين السود اكتساب النفوذ لتحقيق التمكين العنصري [٢٧].

كشفت رسالة (مالكوم)، المليئة بالأفكار الجديدة حول الإسلام والتضامن الأفرو-آسيوي، عن المواقف المتعلقة بالعرق التي عبّر عنها المسلمون خلال رحلته، مما أظهر تناقضات أساسية في الاتجاهات الدينية لأمة الإسلام. وأدرك أنه إذا أرادت هذه الجماعة النمو، يتعين عليها التخلي عن مفاهيمها وممارساتها الطائفية، وتسريع استيعاب الإسلام القويم. ورأى أن استخدام تضامن العالم الثالث لتعزيز التغيير في الولايات المتحدة أصبح قابلًا للتطبيق بشكل متزايد، لكن هذه الفرضية كانت تتناقض مع عقيدة جماعته التي تعتبر أن الإصلاحات مستحيلة التحقيق تحت حكم البيض، وأن السلام يتطلب دولة سوداء منفصلة. والأهم من ذلك هو مسألة القيادة، إذ يؤكد الركن الأول في الإسلام (الشهادة) أن (محمدًا) -صلى الله عليه وسلم -هو خاتم الأنبياء، وبالتالي فإن الاقتراب من الإسلام القويم يعني أن ادعاء (إليجا محمد) بأنه رسول الله سيكون حتمًا موضع شك [٢٨].

وعلى الرغم من أن أتباع جماعة أمة الإسلام يُعتبرون مسلمين، إلّا أن إيمانهم يتسم بالارتباك ويحتوي على العديد من المغالطات العقائدية؛ حيث اعتبروا الإسلام دينًا

مقتصرًا على العرق الأسود، وهو ما يتعارض مع مبادئ الإسلام التي ترفض العنصرية، أي اقتصروا على المظاهر السطحية للإسلام وتجاهلوا جوهره. ومع ذلك، لا يمكن للباحث الموضوعي أن يحكم ببطلان عقيدة أنصار هذه الجماعة، نظرًا لأن الإسلام كان حديث العهد في المجتمع الأمريكي الأسود، الذي لم يكن قد تعرض بعد للإسلام الصحيح المتبع في العالم الإسلامي.

من البديهي القول: إنه كان من الصعب تحديد حدود تفصل بين جهود (مالكوم) في إقناع الأمريكيين السود باعتناق الإسلام، وما بذله من جهد ملحوظ في مواجهة سياسة التمييز العنصري التي فرضها البيض ضد السود من ذوي الأصول الأفريقية؛ فقد كانت العمليتان متداخلتين بشكل دقيق يصعب التفريق بينهما.

المبحث الثاني

دور (مالكوم) في تصحيح أوضاع الحركة الإسلامية ومناهضته لسياسة التمييز العنصري

المطلب الأول: انفصاله عن أمة الإسلام

في أوائل الستينيات، بدأ (مالكوم) في تطوير فلسفة خاصة به أكثر صراحة من فلسفة (إليجا محمد)، وأصبح مدركًا تمامًا للتناقض بين النضال الروحي لزعيمه وسلبيته السياسية. ومع ذلك، لم يكن قد أدرك بعد أن التناقض كان متأصلًا في فكرة الانفصال الإقليمي، وأنه لا يمكن تحقيق أي مشروع للتحرر الوطني انطلاقًا من هذا الأساس. وقد خفف صراعه المحتمل مع زعيمه بسبب عدم قدرته على صياغة بديل نظري واضح لموقف الأخير. ولأن (إليجا محمد) كان دائمًا قادرًا على إقناعه بأن الدعوة كانت أكثر أهمية من الجدل، وأن الاهتمام الصحيح الوحيد للمسلم يتمثل في نمو أمة الإسلام والحفاظ عليها [٢٩].

كان (مالكوم) مدركًا أن موقف أمة الإسلام غير السياسي قد أعاق استعداد (إليجا محمد)، للتوصل إلى تسويات سياسية مع العنصريين البيض الرجعيين؛ ففي ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٦١، أوفده (إليجا محمد) إلى أتلانتا للقاء مسؤولي "كو كلوكس كلان Ku Klux Klan"، بغرض الحصول على دعم المجموعة العنصرية البيضاء لخطة أمة الإسلام لإنشاء دولة سوداء منفصلة. وكان هذا الاجتماع الذي ظل سرًا حتى انفصال (مالكوم) عن أمة الإسلام، أحد العوامل التي أدت إلى تزايد شكوكه في دوافع زعيمه ونزاهته، حتى قبل أن يكتشف علاقاته الجنسية [٣٠].

بدأت ثقة (مالكوم) تتزعزع تجاه تعاليم زعيمه بعد انتشار شائعات حول سلوكه المشين مع بعض سكرتيراته القاصرات، حيث قامت بعضهن برفع دعاوى قضائية ضده متهمات إياه بالتحرش والحمل منه، وقد تم توثيق ذلك من قبل بعضهن؛ كما اعترف (إليجا محمد) له بذلك مدعيًا أن هذه علامة من علامات النبوة. وتزايدت التوترات بينهما بشأن سياسة أمة الإسلام العامة بعدم التدخل في الشؤون الخارجية، مع سعي (مالكوم) نحو مزيد من النشاط والمشاركة في الصراع الاجتماعي الأسود. وعندما قُتل (رونالد ستوكس) عضو الجماعة، وأُصيب (ستة) مسلمين آخرين في هجومٍ للشرطة على المسجد الإسلامي في لوس أنجلوس في نيسان (أبريل) ١٩٦٢، سعى إلى تنظيم مجتمع السود حول هذه القضية، وإقناعهم برفع دعوى قضائية ضد الشرطة بتهمة الوحشية، إلَّا أن (إليجا محمد) أمره بوقف جهوده والعودة إلى نيويورك. وبعد عدة أيام من الحادثة عاد (مالكوم) إلى مدينة نيويورك، وشارك في حلقة، حيث استعرض التفاصيل المقلقة للهجوم وخيبة أمله في سلبية زعيمه [٣١].

في عام ١٩٦٣، سجل (مالكوم) (ثلاث) انتقادات رئيسة ضد حركة الحقوق المدنية للسود المسيحيين: العمل المباشر اللاعنفي، والاندماج، وبناء التحالف مع الليبراليين البيض. لم يرَ (مالكوم) منطقًا في اعتبار العمل المباشر اللاعنفي الشكل الرئيسي للمقاومة الاجتماعية الواجب استخدامه لتحقيق المساواة الحقيقية في الفرص للسود في الولايات

المتحدة. كما اعتبر أن الولايات المتحدة، رغم عدم استعمارها للقارة الأفريقية، قد استعمرت (اثنين وعشرين) مليون أسود على أراضيها [٣٢]. وردًا على المطالبين بالاندماج، قال: "لا يوجد رجل أسود عاقل يرغب حقًا في الاندماج، ولا يوجد رجل أبيض عاقل يرغب حقًا في الاندماج، ولا يوجد رجل أسود عاقل يعتقد حقًا أن الرجل الأبيض سيقدم للرجل الأسود أكثر من دمج رمزي". وعندما ذكر كلمة انفصال، تعرض لهجوم من أنصار حركة الحقوق المدنية من السود، متهمًا إياه بأنه يجعل السود يسيرون على نهج العنصريين البيض، مما اضطره للرد قائلًا: "نحن لا نتبع أحدًا، ونرفض الفصل ونناضل ضده، وما نريده هو الانفصال لا الفصل، وهناك فرق بين الكلمتين" [٣٣].

اعتبر (مالكوم) أنه من العار خداع السود ليكونوا غير عنيفين، مشيرًا إلى أن من يتحدث كما يفعل يُتهم بأنه يدعو إلى العنف؛ بل اتهمه أحدهم في مقالٍ صحفي بأنه يؤيد العنف، رغم أنه لم يدعُ إليه قط؛ بل كان يؤكد أن السود الذين تعرضوا للعنف المنظم من قبل الجماعات العنصرية يجب عليهم الدفاع عن أنفسهم. لم يكن يعتقد أن مشكلة الأمريكيين السود ستُحل بالوسائل السلمية، لأن المشكلة تطورت عبر القرون إلى مرحلة تتطلب تأكيد إنسانيتهم بالقوة. وكانت أساليبه تتضمن حملات وخطب تهدف إلى استعادة كرامة الرجل الأسود وثقته بنفسه؛ ففي إحدى خطاباته في مسيرات الشوارع قال لسكان حي هارلم: "نحن سود أولًا وكل شيء آخر ثانيًا". كما أن العديد من أفراد المجتمع الأسود الذين لم ينضموا رسميًا إلى أمة الإسلام أو لم يدعموها، كانوا يتفقون مع الكثير مما قاله [٣٤].

استمر (مالكوم) في رفض نهج (كنج) اللاعنفي التكاملي، ولكنه التقاه في لقاء ودي قصير في ٢٦ آذار (مارس) ١٩٦٤ في مبنى الكابيتول، ومع ذلك لم يسد الفجوة بينهما، حيث كان (مالكوم) أكثر اهتمامًا بالصراعات الداخلية في معسكره، بينما كان تركيز (كنج) منصبًا على تشريعات الحقوق المدنية المعلقة [٣٥].

في صيف عام ١٩٦٣ أعلن (مالكوم) دون إذن من زعيمه أن مسجد هارلم رقم (٧) سيبدأ حملة تسجيل الناخبين، ودعا علنًا إلى تشكيل الجماعة جبهة سوداء موحدة مع منظمات

الحقوق المدنية. وتزعزعت ثقته نتيجة معرفته بالفساد المالي في مقر الجماعة في شيكاغو، مما جعله يشعر أن (إليجا محمد) لا يدعم حركة الحقوق المدنية بِما فيه الكفاية. وفي العام ذاته وصلت العِلاقة بين الطرفين إلى طريقٍ مسدود، عقب محاولة زعيمه إسكاته بعد تصريحاته السياسية التحريضية المتعلقة بمقتل الرئيس (جون كيندي)، لذا اضطر (إليجا محمد) في اليوم التالي إلى إصدار قرار بإيقافه عن الإدلاء بأي تصريحات عامة لمدة (تسعين) يومًا. بعد عدة أسابيع، تم إعفاؤه من منصبه كممثل وطني لأمة الإسلام وإمام المسجد رقم (٧)، وطُلب من أتباع الجماعة تجنبه، كما تم تمديد الحظر المفروض عليه للتحدث أمام الجمهور إلى أجل غير مسمى. وعندما أدرك أن خلافاته مع الجماعة أصبحت غير قابلة للتسوية، أعلن (مالكوم) في مؤتمر صحفي عن انفصاله عنها في ٨ آذار (مارس) ١٩٦٤. وأوضح موقفه من العمل المباشر اللاعنفي، مؤكدًا أنه من الإجرام تعليم الرجل عدم الدفاع عن نفسه عندما يكون ضحية للهجمات الوحشية، وأن من حقه القانوني امتلاك بندقية للدفاع عن نفسه إذا استلزم الأمر [٣٦].

اضطر (مالكوم) لاحقًا إلى تبني الفلسفة الانتقالية، مما دفعه للإدلاء بتصريحات تحمل طابع التحدي. فقام بمراجعة النهج الانفصالي في فلسفته، ولم يتوقف عن تقدير فكرة أن العودة إلى أفريقيا ستصبح مركزًا للقومية السوداء، لكنه لم يعتبر ذلك حلًا لمشاكل السود في ذلك الوقت. واعتقد أن القومية السوداء ستتحقق من خلال تثقيف السود للسيطرة على الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية لمجتمعاتهم. ومن خلال التمكين السياسي، يمكنهم تحديد مصيرهم السياسي وإجراء التغييرات المرغوبة في مجتمعاتهم وبلدانهم، مما يتيح لهم الانخراط في تحول سياسي يهدف إلى تعزيز المساواة وعدم التمييز بين السود. في هذه المرحلة أصبح أكثر تسامحًا مع غير الانفصاليين، وأصبح أكثر استيعابًا لجميع السود، داعيًا إلى تمكينهم من السيطرة على اقتصاد مقاطعاتهم والمجال السياسي والاجتماعي للمجتمع. ومن وجهة نظره، يمكن تحقيق ذلك من خلال التكامل بغض النظر عن المعتقد الديني للفرد [٣٧].

يبدو أن الدافع وراء إنهاء (مالكوم) علاقته بأمة الإسلام كان اهتمامه بالشؤون العالمية لتحقيق هدف سياسي يتمثل في ربط حقوق الإنسان الدولية بالوحدة الأفريقية، حيث قال: "نحن بحاجة إلى توسيع النضال من أجل الحقوق المدنية إلى مستوى حقوق الإنسان، ولا يمكن لأحد من العالم الخارجي أن يتحدث نيابة عنك طالما أن نضالك هو نضال من أجل الحقوق المدنية"[٣٨]. ثم قرر تأسيس هيئة كبيرة تهدف إلى إيقاظ همم السود، متميزة عن أمة الإسلام، وتستقطب جميع السود بغض النظر عن معتقداتهم الدينية، مما أدى إلى انضمام بعض الأفراد إليها وتركهم لأمة الإسلام؛ وقد حظيت بدعم السود غير المسلمين، بما في ذلك أفراد من الطبقتين الوسطى والعليا من البرجوازية السوداء. ويبدو أن تشدد أمة الإسلام وبطء حركتها، فضلًا عن عدم انتشار الإسلام كما ينبغي، كانت من أبرز الأسباب التي دفعت البعض إلى الانفصال عنها [٣٩].

المطلب الثاني: أداء فريضة الحج والتحول الروحي في حياته

بدأ (مالكوم) في تحسين حياته عندما قرر أداء فريضة الحج في نيسان (أبريل) ١٩٦٤، حيث انبهر بتواجد مسلمين من أعراق مختلفة، جميعهم متساوون ومتحابون، فتعلم الصلاة الصحيحة التي كان يجهلها تمامًا. وعندما وقف على قمة جبل عرفات، أقسم أنه عند عودته إلى بلاده سيقضي على العنصرية التي تعاني منها أمة الإسلام، وسينشر الرسالة الحقيقية للإسلام ويخلص أتباعها من أي انحراف. وخلال فترة الحج شهد تحولًا إيجابيًا غيّر مجرى حياته، خاصة بعد أن شهد حالة الإخاء بين المسلمين من أعراق متنوعة، حيث قال: "لم أشهد في حياتي هذا الإخاء بين أناس من كل الألوان والأجناس، وقد ذهلت بما رأيته منهم من لطف" [٤٠].

خلال وجوده في مكة، التقى (مالكوم) بالعاهل السعودي (فيصل بن عبد العزيز)، الذي أشار إلى أن جماعة أمة الإسلام خارجة عن الإسلام بسبب معتقداتها الضالة، كما التقى بعدد من العلماء المسلمين. وبعد انتهاء فريضة الحج، زار مصر حيث التقى بشيخ الأزهر (حسن مأمون)، ومفتي الديار المصرية (حسنين مخلوف)، ثم زار لبنان ونيجيريا وغانا

وليبيريا والسنغال والمغرب والجزائر. وكانت هذه الزيارات بمثابة بداية جديدة وبحث متجدد له، فأعلن إسلامه مجددًا وعاد إلى الولايات المتحدة ليبدأ مرحلة جديدة محفوفة بالمخاطر على حياته [٤١].

فيما يتعلق بتجربته في أداء شعائر الحج، استنتج (مالكوم) أن هذه التجربة أجبرته على إعادة تقييم العديد من أنماط تفكيره السابقة والتخلي عن بعض استنتاجاته. ومع ذلك، لم يكن التغيير صعبًا عليه، إذ كان يسعى دائمًا لمواجهة الحقائق وقبول واقع الحياة. يقول: "لقد أبقيت دائمًا عقلًا متفتحًا، وهو أمر ضروري للمرونة التي يجب أن تسير جنبًا إلى جنب مع كل شكل من أشكال البحث الذكي عن الحقيقة". وبالتالي، انتقل من مجرد الملاحظة والمشاركة الشعائرية إلى موقف نقدي ملتزم يربط الملاحظة بالتغيّرات في المواقف والسلوك [٤٢].

أدى أداء (مالكوم) لفريضة الحج إلى تجربة مكنته من إعادة التفكير في المجتمع الأمريكي، وصياغة حلول وأيديولوجيات جديدة ستؤثر على سلوكياته عند عودته. وقد أظهرت له هذه الفريضة أن الإسلام يمكن أن يكون قوة لتحقيق العدالة العالمية، وتجاوز الانقسامات العرقية بدلًا من استغلالها. كما كانت تجاربه السابقة مع العنصرية وجماعة أمة الإسلام، والانشغال بنضال السود في الولايات المتحدة بمثابة مصفاة، استوعب من خلالها الرموز المقدسة للحج وأعاد صياغة نظرته السابقة [٤٣].

عندما عاد (مالكوم) إلى بلاده وكان متبنيًا اسم الحاج (مالك الشباز) سافر إلى شيكاغو في ٢٢ آيار (مايو) ١٩٦٤، حيث عقد مؤتمرًا صحافيًا تناول مجموعة واسعة من المواضيع، أمام جمهور مكون من (ألف وخمسمائة) شخص، كشف عن آرائه الجديدة خلال إحدى المناظرات، حيث صرح للحضور: "إن الانفصال ليس هدف الأمريكيين السود"، مما أثار جدلًا بين أتباعه. وأضاف: "إن الاندماج ليس هدفه؛ بل هو مجرد وسيلة لتحقيق غايته الحقيقية، وهي الاحترام كإنسان". وطرحت صحيفة أخبار أمستردام سؤالًا استفزازيًا: هل أدت زيارة (مالكوم) إلى مكة ولقاؤه بزعماء المسلمين في أفريقيا إلى

تغييره ليصبح أكثر تسامحًا في موقفه المناهض للبيض وأكثر تدينًا؟ وفي رسالة موجهة إلى الصحيفة، أفاد (مالكوم) بأن أنصار الإسلام ملزمون باتخاذ موقفٍ حازمٍ لدعم أي فرد تُنتهك حقوقه الإنسانية، بغض النظر عن المعتقد الديني للضحايا، مما يدل على فهمه أن الإسلام يعترف بالجميع كجزء من أسرة إنسانية واحدة [٤٤].

أسس (مالكوم) شركة المسجد الإسلامي في حي هارلم لمواصلة جهوده في تحرير الشعب الأمريكي الأفريقي وتعزيز مكانته، وألقى خُطبته الشهيرة (الاقتراع أو الرصاصة) في كليفلاند في ٣ نيسان (أبريل) ١٩٦٤، وكانت خطوته التالية تعزيز التزامه بالإسلام، ليس كما تعلمه من أمة الإسلام؛ بل كما يمارسه المسلمون السُنة. وأدرك أن المسجد الجديد يحتاج إلى التوسع إلى مدن أخرى لتوحيد أتباعه من المسلمين؛ ففي ١٨ حزيران (يونيو) من العام نفسه، أسس أيضًا منظمة الوحدة الأفريقية الأمريكية، وهي منظمة علمانية مكرسة لنفس الأهداف، وكانت كلتا المنظمتين تحديًا مباشرًا لأمة الإسلام. وقدم (مالكوم) بيان الأهداف والغايات الأساسية لهذه المنظمة، التي تم تصميمها على غرار منظمة الوحدة الأفريقية، حيث تم قبوله بصفة مراقب في المؤتمر السنوي الثاني لهذه المنظمة في القاهرة بين ١٧ و ٢١ تموز (يوليو)، وسُمح له بتقديم مذكرة من (ثماني) صفحات إلى المندوبين، حثهم فيها على طرح معاناة الزنجي الأمريكي أمام الأمم المتحدة [٤٥].

لقد أدرك (مالكوم) عدم اتساق سيطرة السود على مجتمعاتهم، في ظل الاقتصاد الرأسمالي الاحتكاري المتجذر في الإمبريالية الغربية بسبب استحالة التعايش في هذا النظام، وغالبًا ما وصف الرأسمالية بأنها مصاصة دماء، معتبرًا أنه لا يمكن الاعتماد عليها للقضاء على العنصرية والفقر. كما نظر بإيجابية إلى محاولات القوميين الأفارقة لإنشاء اشتراكية أفريقية، ولاحظ في أسفاره أن معظم الدول المستقلة حديثًا قد ابتعدت عن الرأسمالية واتجهت نحو الاشتراكية. وكان للزعماء الأفارقة الذين قابلهم شكل من الاقتصاد المختلط الذي وصفوه بالاشتراكي [٤٦].

استندت خطب (مالكوم) إلى روايتين تاريخيتين؛ التوترات المتزايدة بينه وأمة الإسلام، وبوادر التشرذم داخل حركة الحقوق المدنية. وتتجلى أوجه التشابه الملحوظة بين هاتين الروايتين، وكلاهما مدفوع بطرق مختلفة نتيجة الإحباط الناجم عن الأصوات الأكثر تطرفًا. وقضى معظم العام الأخير من حياته خارج البلاد، وكان مستقلًا تقريبًا عن حركة الحقوق المدنية. هناك دلائل تشير إلى أن صراعه مع أمة الإسلام أصبح مصدر قلق شخصي، ويبدو أنه كان عازمًا على تطوير خطاب يحرر جمهوره من القيود الثقافية والسياسية (٤٧).

كانت الفلسفة الاجتماعية لقومية السود لدى (مالكوم) تعني ضرورة اجتماعهم لإزالة الشرور والرذائل، والتوقف عن إدمان الكحول والمخدرات، وغيرها من الآفات التي تهدد النسيج الأخلاقي لمجتمعهم. أعاد (مالكوم) النظر في موضوعات الوحدة التي طرحها في كلمته الافتتاحية، لكنه لم يتحدث هنا عن وحدة قائمة على أساس ثابت من التطابق والاتفاق؛ بل عن وحدة مستندة إلى تقييم نقدي. وفي رأيه، من المستحيل تغيير آراء البيض لأن ضمير الولايات المتحدة مُفلس؛ لذا فإن برنامجه ليس مصممًا لجعل الرجل الأسود يعيد تقييم الرجل الأبيض؛ بل لجعل الرجل الأسود يعيد تقييم نفسه. يجب على الأمريكيين من أصل أفريقي تغيير أفكارهم تجاه بعضهم البعض، والاجتماع لتطوير الوحدة والانسجام الضروريين لحل هذه المشكلة بأنفسهم (٤٨).

اعتبر (مالكوم) أن الهدف الأساسي لمنظمته الجديدة هو طرح قضية الأمريكيين من أصل أفريقي أمام الأمم المتحدة، مما يمثل تحولًا استراتيجيًا في نشاط حقوق المدنيين داخل الولايات المتحدة؛ إذ بدلًا من السعي لإجراء إصلاحات تشريعية عبر الكونغرس، حاول تقديم شكاوى السود إلى الهيئات الدولية على أمل التدخل الدولي. وفيما يتعلق بدوره في كشف حقيقة أمة الإسلام للعالم الإسلامي؛ خلال الشهرين الأخيرين اللذين قضاهما في الدول العربية وأفريقيا، لم يصرح علنًا إلَّا بالقليل عن خلافه معها. وبعد عودته إلى بلاده، حاول الالتزام بالصمت بشأن هذا الخلاف، لكنه لم يجد آذانًا صاغية داخل الجماعة، مما

يعني عدم إمكانية حدوث المزيد من المفاوضات بين الطرفين. وتبدو تصرفاته السياسية استفزازية للغاية بعد انتقاده (إليجا محمد)، مستغلًا علاقاته الناجحة مع المنظمات الإسلامية في القاهرة ومكة، التي أثرت في اعتبار أمة الإسلام خارج حدود الإسلام، مما أثار حفيظة (إليجا محمد). ومن خلال اعتناقه للإسلام القويم، قام (مالكوم) بتهميش الجماعة، مما جعل قتله ضروريًا من وجهة نظرها، رغم محاولته التوصل إلى حل نهائي بينهما، مع اقتناعه بأن نشر الإسلام القويم بنجاح في الولايات المتحدة لن يكون ممكنًا إلا بعد كشف خيانة (إليجا محمد) والفساد الداخلي للجماعة بشكل كامل [٤٩].

بين كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٤ وشباط (فبراير) ١٩٦٥، قام (مالكوم) بزيارتين إلى بريطانيا، حيث ألقى خطبًا أكثر تعقيدًا وتألقًا في مسيرته المهنية. في أوائل كانون الأول (ديسمبر)، شارك في مناظرة في اتحاد أكسفورد، أحد أبرز منظمات المناظرة في العالم الناطق باللغة الإنجليزية. وفي ١١ شباط (فبراير) ١٩٦٥، تمت دعوته للعودة إلى لندن من قبل الجمعية الأفريقية لإلقاء خطاب أمام جمهور كبير في كلية لندن للاقتصاد. في كلا الخطابين، نقل (مالكوم) الخطاب السياسي من حقوق المدنيين إلى حقوق الإنسان، مشددًا على ضرورة تدويل النضال من أجل تحرير السود بدلًا من عزله، وأكد استعداده للتعاون مع الأفراد ذوي النوايا الحسنة بغض النظر عن عرقهم أو لونهم أو عقيدتهم. وقد استقبله المهاجرون من العالم الثالث، معظمهم من جزر الهند الغربية وأفريقيا وشبه القارة الهندية، باعتباره سليلًا لأم غرينادية، ومناصرًا لعموم أفريقيا وغارفيًا ومسلمًا، مما مكنه في مطلع عام ١٩٦٥ من التواصل مع أفراد من خلفيات متنوعة [٥٠].

في بداية العام المذكور، وقبل وفاته بفترة قصيرة، عدل (مالكوم) موقفه قائلًا إنه ليس عنصريًا ولا يؤمن بالتمييز أو الفصل؛ بل يؤمن فقط بالإسلام. وهذا يؤكد ابتعاده عن اعتقاده السابق بإسلام جماعة أمة الإسلام؛ فالإسلام الصحيح -بالنسبة له -لا يعرف الفصل أو التفرقة العنصرية. ووفقًا لرؤيته لم تكن الولايات المتحدة مجتمعًا يمارس

الأخوة؛ بل كانت مجتمعًا خاضعًا لسيطرة دعاة الفصل العنصري في مواقع السلطة بالعاصمة (واشنطن) [٥١].

اعتبر (مالكوم) التعليم أمرًا حيويًا للسود في الولايات المتحدة، حيث رأى أن التعليم ضروري لتأسيس حركة جماهيرية جديدة قادرة على النضال بفعالية من أجل حقوق الإنسان. واستغل كل فرصة متاحة له عبر التلفاز والإذاعة والمؤتمرات الصحفية والمقابلات والاجتماعات العامة لتعليم وتفسير الروابط بين مختلف جوانب النضال من أجل الحرية، وحث الناس على التفكير بشكل مستقل. وكان دائمًا يكيف أسلوبه في الخطاب ليتناسب مع الجمهور المحدد، مستخدمًا المفردات والإيقاع الأنسب للتواصل [٥٢].

فيما يتعلق برؤيته للدعاة المسلمين المهاجرين، أبدى استياءً كبيرًا من تجاهل العالم الإسلامي لمشكلة الأمريكيين السود، مشيرًا إلى أن معظم المسلمين الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة قد أولوا اهتمامًا أكبر لإقناع الأمريكيين البيض باعتناق الإسلام بدلًا من الأمريكيين السود. وبعيدًا عن تجنب نظرته النقدية، فإن تعريفه كمسلم سُنّي أتاح له تقديم نقد ضروري للعمى العنصري والسياسي بين المهاجرين السُنة [٥٣].

كانت فلسفة (مالكوم) في الدفاع عن النفس فيما يتعلق بحركة الحقوق المدنية مجرد جانب واحد من أيديولوجيته وأهدافه العامة، والأهم من ذلك أنها كانت تركز على هدف إدخال تغييرات على الحركة من خلال تقديم رؤية جديدة. ثم انتقل هدفه إلى ما يتجاوز الاندماج في المجتمع الأمريكي، حيث كان نشطاء الحقوق المدنية مشغولين بتغيير السياسات الفيدرالية وسياسات الولايات. ولم يعد الاندماج حلًا قابلًا للتطبيق بالنسبة إليه، لأن المشكلة تتجاوز قضايا الاندماج والحقوق المدنية. وخلال خطابه في نيويورك في ١٦ شباط (فبراير) ١٩٦٥، قال: "إن مشكلات الرجل الأسود في هذا البلد لم تعد مشكلة الأسود الأمريكي فقط أو مشكلة أمريكية؛ بل أصبحت مشكلة معقدة جدًا ولها آثار عديدة بحيث يتعين دراستها في سياقها الدُّولي" [٥٤].

نتيجة لمواقفه السياسية والدينية، تلقى (مالكوم) لاحقًا تهديدات متعددة بالقتل، مما زاد من المخاوف بشأن سلامته. في بداية عام ١٩٦٥، اعتقد معظم مساعديه أنه إذا لم يغيّر مواقفه، فسوف يُغتال، لذا بدأ المقربون منه في البحث عن سبل لحماية حياته. ويبدو أن العديد من الحكومات الأفريقية والعربية، مثل إثيوبيا والسعودية عرضت عليه اللجوء، كما حثه مجتمع المغتربين الأمريكيين من أصل أفريقي في غانا على الانتقال مع عائلته، لكنه أصر على مواصلة النضال في بلاده غير مبالٍ بسلامته. واستمر في الكفاح من أجل حقوق السود حتى تاريخ اغتياله في ٢١ شباط (فبراير) ١٩٦٥، أثناء إلقائه خطابًا أمام (أربعمائة) من مؤيديه، وتم القبض على المسلحين المنتمين إلى أمة الإسلام [٥٥].

إن إدانة (مالكوم) للمجتمع الأمريكي وسعيه الدؤوب لتحقيق العدالة للطبقة الدنيا، وانتقاده المستمر للقيادة السوداء المذعنة، ظلتا جزءًا من نشاطه السياسي والديني طوال حياته؛ فالمجتمع الأمريكي الأفريقي الموحد كان الشرط الأساسي لمحاربة الآخر. وكان احتضانه للون الأسود يلهم الشباب الأمريكيين السود المعاصرين، ولعل إرثه السياسي والروحي يكمن في قدرته على البحث عن تحول داخلي قبل مواجهة البنية القمعية. وقد مكنته قدرته على تصور القواسم المشتركة بين العالم الثالث والمجتمع الأمريكي الأفريقي من معالجة القضايا بواسطة أفكار حقوق الإنسان في الجزء الأخير من حياته السياسية [٥٦].

نتيجة لذلك، ساهمت عملية اغتيال (مالكوم) وأفكاره وخطاباته في تعزيز الأيديولوجية القومية السوداء، وأثارت شعورًا فريدًا من الفخر العرقي لدى الأمريكيين من أصل أفريقي، وساعدت على توسيع قيم الاستقلال الذاتي لديهم في الولايات المتحدة لاحقًا. حتى وإن كان القاتلون منتمين لأمة الإسلام، فإن ذلك لا يعفي الإدارة الأمريكية من مسؤولية تجاهل مرتكبي الجريمة.

نتائج الدراسة

في ختام الدراسة يمكن استعراض بعض النتائج، ومنها:

١. كان لحياة الفقر والحرمان التي عاشتها أسرة (مالكوم) تأثير كبير على مسار طفولته، حيث لم يتمتع بوسائل الرفاهية والحياة الكريمة مثل أقرانه من الأطفال البيض، مما أدى إلى تنمية مشاعر الكراهية تجاه البيض ولجوئه إلى السرقة، بالإضافة إلى تدهور معنوياته الدراسية.

٢. إن الفترة التي قضاها (مالكوم) في السجن صقلت شخصيته بشكل جيد، مما ساعده لاحقًا على أن يصبح خطيبًا مفوهًا. فقد دفعه كراهيته للبيض بشغف إلى دراسة تاريخ السود واعتناق الإسلام. ويبدو أن سرعة اعتناقه للإسلام تعود إلى البيئة التي نشأ فيها، والتباينات الموجودة بين مجتمع السود والمسيحية.

٣. بدا من الصعب تحديد حدود تفصل بين جهود (مالكوم) في إقناع الأمريكيين السود باعتناق الإسلام، وما بذله من جهد ملحوظ في مواجهة سياسة التمييز العنصري البغيضة التي فرضها البيض ضد أبناء جلدته من السود ذوي الأصول الأفريقية؛ فالعمليتان كانتا متداخلتين بشكل دقيق مما يصعُب التفريق بينهما.

٤. هنالك عدة أسباب دفعت (مالكوم) لإنهاء علاقته بأمة الإسلام و(إليجا محمد)، منها: عدم رغبة زعيمه في السماح له بإدلاء تصريحات سياسية داخلية تحريضية، واهتمامه بالشؤون العالمية لأهميتها في كسب الرأي العام الدُّولي لقضية السود في بلاده.

٥. كان (مالكوم) يمثل تحديًا لحقوق السود واحترامهم لذاتهم، فإذا كان يعيش في عصرنا الحالي، لكانت حكومته قد وسمته بتهمة الإرهاب بعد نجاحه في جذب الآلاف إلى الإسلام، وقطع شوطًا طويلًا في مكافحة سياسة التمييز العنصري.

٦. كان (مالكوم) أول زعيم أمريكي أسود في الستينيات يتحدث في أفريقيا عن معاناة السود في الولايات المتحدة. على الرغم من عدم شغله أي منصب حكومي، فقد تم استقباله بحرارة في مناسبات متعددة من قبل رؤساء الدول ومواطنيها، كما أتاح له تفاعله الدبلوماسي في هذه البلدان بيئة ملائمة للتعبير عن قضيّه.

٧. أحدث (مالكوم) تأثيرًا كبيرًا في حياة الأمريكيين السود، وساهمت عملية اغتياله وأفكاره وخطبه في تطور الأيديولوجية القومية السوداء، وأثارت حالة فريدة من الاعتزاز العِرقي لدى الأمريكيّين السود.

المراجع

(١)Stein (1991), The World of Marcus Garve, pp. 24-37.

(٢) هالي (١٩٩٦)، مالكوم إكس سيرة ذاتية، ص٩-١٠، ١٥-١٦؛

Marable) (2011), Malcolm X: A Life of Reinvention, pp. 21-22; DeCaro (1998). Malcolm and The Cross, pp. 61-62.

(٣) هالي، مالكوم إكس سيرة ذاتية، ص١٦-٢٣، ٢٨.

(٤) Mboya (Sep. 2016), Social, Moral and Political Philosophy of Malcolm X, p.3.

(٥) هالي، مالكوم إكس سيرة ذاتية، ص٣٥-٤٤، ٥٦-٥٧، ٧٠-٧٤.

(٦) المرجع السابق، ص١١٥-١٢٤، ١٣٣، ١٣٧.

(٧) Bangura (July 2016), "Malcolm X and United States Policies towards Africa", p. 68.

(٨) Wolfenstein (1981), The victims of democracy, pp. 245-246.

(٩) Cornell (May 2018), Black Islamic Evangelization in the American South, p.34.

(١٠) Çetindağ (Nov. 2017), Malcolm X's Attempt to Internationalize the Civil Rights Movement, p. 20.

(١١) هالي، مالكوم إكس سيرة ذاتية، ص١٤٦، ١٤٨-١٥٤؛

Leclerc (Ryan) (2010), Malcolm X and the Hajj: A Change in Tamed Power, A Bachelor Thesis, University of Michigan, p.11.

(١٢) هالي، مالكوم إكس سيرة ذاتية، ص١٥٣؛

Perry (1991), Malcolm: The Life of a Man Who Changed Black America, p. 146.

(١٣) هالي، مالكوم إكس سيرة ذاتية، ص١٥١؛ DeCaro, Malcolm and The Cross, p.94

(١٤)Piyush (May 2015), "The Autobiography of Malcolm X, p. 668.

(١٥) Cornell, Black Islamic Evangelization, pp. 30-31; Marable, Malcolm X: A Life of Reinvention, p. 95.

(١٦)هالي، مالكوم إكس سيرة ذاتية، ص١٦٣.

(١٧)Alexander and Rucker (1996). Encyclopedia of African American History, pp. 1116-1117.

(١٨)Leclerc, Malcolm X, and the Hajj, p.12; Marable, Malcolm X: A Life of Reinvention, pp. 98-99.

(١٩) Marable, Malcolm X: A Life of Reinvention, p. 99.

(٢٠) Op. Cit, p. 101.

(٢١) Poljarevic (July / Aug. 2021), "Malcolm X and Blackamerican Islamic Liberation, p. 22.

(٢٢) هايلي، مالكوم إكس سيرة ذاتية، ص٢٣٢.

(٢٣) "Blood Brothers: Malcolm X & Muhammad Ali Official Trailer", Netflix.

(٢٤) Alexander and Rucker, Encyclopedia of African American History, p. 1116.

(٢٥) Wolfenstein, The victims of democracy, p٢٦٦ ; "Blood Brothers", op. cit.

(٢٦) Mboya, Social, Moral and Political Philosophy, pp. 5-6.

(٢٧)Marable, Malcolm X: A Life of Reinvention, pp. 125-126.

(٢٨) Marable, Malcolm X: A Life of Reinvention, p. 126-127.

(٢٩) Wolfenstein, The victims of democracy, p. 276.

(٣٠) Carson (1991), Malcolm X: The FBI File, pp. 203–204.

(٣١) هالي، مالكوم إكس سيرة ذاتية، ص٢٢٥-٢٢٨؛

Alexander and Rucker, Encyclopedia of African American History, p. 1117; Wolfenstein, The victims of democracy, pp. 276-277; DeCaro, Malcolm and The Cross, pp. 187-188.

(٣٢) Hicks (Aug. 2009), The Multifarious Jehads of Malcom X, p.55; McCarter (2001), The Individual and Social Process of Pilgrimage, p.54; Breitman (1990), Malcolm X Speaks, p. 170.

(٣٣) هالي، مالكوم إكس سيرة ذاتية، ص١٨٨.

(٣٤) Breitman, Malcolm X Speaks, p. 164; Salzman and others (1996), Encyclopedia of African-American Culture and History, p. 179.

(٣٥) Carson (٢٠٠٥), "The Unfinished Dialogue of Martin Luther King, Jr. and Malcolm X", p. 17.

(٣٦)هالي، مالكوم إكس سيرة ذاتية، ص٢٣١؛

Alexander and Rucker, Encyclopedia of African American History, p. 1117; Hicks, The Multifarious Jehads of Malcom X, p.55; McCarter, The Individual and Social Process of Pilgrimage, p.54.

(٣٧) Mboya, Social, Moral and Political Philosophy, pp. 10-11.

(٣٨) Cornell, Black Islamic Evangelization, p.31.

(٣٩)هالي، مالكوم إكس سيرة ذاتية، ص٢٤٢.

(٤٠) المرجع السابق، ص٢٦٠؛ McCarter, The Individual and Social Process, p. 59

(٤١) هالي، مالكوم إكس سيرة ذاتية، ص٢٦٢، ٢٦٥-٢٧٨؛ Çetindağ, Malcolm X's Attempt, pp.31-32

(٤٢) Terrill (2004), Malcolm X: Inventing Radical Judgment, p. 136.

(٤٣) McCarter, The Individual and Social, pp.61-62; Çetindağ, Malcolm X's Attempt, p. 34.

(٤٤) Marable, Malcolm X: A Life of Reinvention, pp. 241, 238; Hannan (2 June 2015), "Notes on Martin Luther King Jr. & Malcolm X", p. 7.

(٤٥) Ahmed (Sep. 2017), American Islam X, pp. 80-81; Hannan, "Notes on Martin Luther King Jr.", p. 7.

(٤٦) Sales, Jr. (1994), From Civil Rights to Black Liberation, pp. 84, 86.

(٤٧) Terrill, Malcolm X, p. 111.

(٤٨)Op. Cit, p. 131; Zakaria (Nov. 2016), "The Ballot or the Bullet", p. 154.

(٤٩)Marable, Malcolm X: A Life of Reinvention, pp. 285, 244-245; "Malcolm X: The Untold Story", YouTube.

(٥٠) Carew (1994), Ghosts in Our Blood with Malcolm in Africa, pp. viii-ix, 104.

(٥١) Breitman, Malcolm X Speaks, p. 162-163; "Malcolm X: The Untold Story", op. cit.

(٥٢) Kerry (March – April 1967), "Malcolm X On Afro-American History", p. 1.

(٥٣) Ahmed, American Islam X, p. 85.

(٥٤) Çetindağ, Malcolm X's Attempt, pp. 26-27.

(٥٥)Alexander and Rucker, Encyclopedia of African American History, p. 1118; "Malcolm X: The Untold Story", Op. Cit.

(٥٦) Piyush, "The Autobiography of Malcolm X", p. 670.